مراتب تمحيص المؤمن من ذنوبه

د . محمد بن إبراهيم النعيم

رحمه الله



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ





الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنه من المعلوم أن الجنَّة طيبة، لا يدخلها إلا طيب كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [النحل:٣٢].

وقوله تعالى ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر:٧٣].

والذي يقترف الذنوب والمعاصي لا يكون طيباً وإنما يلزم تمحيصه وتطييبه من تلك الذنوب والآثام؛ لكي يدخل الجنَّة ممحصاً من الذنوب، كتمحيص الذهب والفضة من خبثهما.

وهذا التمحيص إما أن يكونَ في الدنيا بأربعة





أشـياء، أو يكـونَ في القبر بثلاثة أشـياء، أو يكونَ في الموقف -بأرض المحشر في يوم مقداره خمسين ألف سنة - بأربعة أشياء.

وإذا لم تف تلك الأمور؛ لا يبقى سوى النَّار -عياذا بالله- لدخولها؛ للتمحيص من تلك الذنوب، كإدخال الذهب في الكير لتمحيصه من الشوائب.

أما التمحيص الذي يكون في دار الدنيا فهو بأربعة أشياء:

الأول: بالتوبة.

الثاني: الاستغفار.

الثالث: عمل الحسنات الماحيات.

الرابع: المصائب المكفرة.



فإن محّصته هذه الأربعة؛ كان من الذين تتوفاهم الملائكة طيبين.

وإن لم تف هذه الأربعة بتمحيصه وتخليصه من ذنوبه، حيث لم تكن التوبة نصوحاً مثلاً ولم يكن الاستغفار كاملاً تاماً وهو المصحوب بمفارقة الذنب والندم عليه، ولم تكن الحسنات وافية بالتكفير، ولا المصائب كذلك.

فإنه سيُمحص في القبر بثلاثة أشياء :

أحدها: صلاة أهل الإيمان عليه واستغفارهم له وشفاعتهم فيه.

لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ» رواه مسلم.

الثاني: تمحيصه بفتنة القبر، وروعة الفتان، والعصرة، والانتهار، وتوابع ذلك من أنواع عذاب القبر.

الثالث: ما يُهدي إخوانه المسلمون إليه من هدايا الأعمال، من الاستغفار والدعاء له والصدقة عنه والحج والصيام عنه ونحو ذلك وجعل ثواب ذلك له.

فإن لم تف هذه بالتمحيص.

مُحص بين يدي ربه عَزَّوَجَلَّ في الموقف بأربعة أشياء:

الأول: أهوال يوم القيامة.

الثاني: شدة الموقف.

الثالث: شفاعة الشفعاء.

الرابع: عفو الله عَزَّوَجَلَّ.

فإن لم تُفدْ هذه الثلاث مراحل بتمحيصه - وهي مرحلة الدنيا ومرحلة البرزخ ومرحلة المحشر.



فلابـد له من دخول الكـير رحمة في حقه ليتخلص ويتمحص ويتطهر في النَّار.

فتكـون النَّار طُهرة له وتمحيصاً لخبثه، ويكون مكثـه فيها على حسـب كثرة الخبث وقلته، وشـدته وضعفـه وتراكمه، فـإذا خرج خبثـه وصفي ذهبه وصار خالصاً طيباً أُخرج من النَّار وأُدخل الجنَّة لأن الجنة لا يدخلها إلا طيب. أهـ تهذيب مدارج السالكين بتصرف «ص ١٠٢»

قـال تعـالى ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣].

فمن اقترف ذنبا فليبادر إلى التوبة؛ ليُكفر عنه ما اقترفتـه يـداه، وإلا فـإن عقوبة ذلك الذنب سـوف تلاحقه في الدنيا أو في البرزخ أو في يوم القيامة؛ إلا أن يعفو الله تعالى؛ ولذلك أوصى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ

بضرورة المبادرة إلى التوبة بقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**» رواه أبو داود والترمذي عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

والسعيد من يعاقبه الله تعالى بذنبه في الدنيا؛ لأن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة حيث روى أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ «**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» رواه الترمذي.

وروى عبد الله بن المغفل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: أن رجلا لقي امرأة كانت بغيا في الجاهلية فجعل يلاعبها حتى بسط يده إليها فقالت: مه فان الله قد أذهب الشرك وجاء بالإسلام، فتركها وولى فجعل يلتفت خلفه

ينظـر إليها حتى أصاب الحائط وجهه، فاخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأمـر – فلم يوبخه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على فعله ولم يشـمت به وقد جاءه ووجهه يسيل دما كمـا في رواية أخرى، وإنما قال له -: «أَنْتَ عَبْدٌ أَرَادَ اللـهُ بِكَ خَـيْرًا، إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَـيْرًا، عَجَّلَ لَهُ عُقُوبَةَ ذَنْبِهِ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرًّا، أَمْسَكَ عَلَيْهِ بِذَنْبِهِ». رواه الطبراني وصححه الألباني.

فمـن عاقبـه الله عَزَّوَجَلَّ في الدنيـا بحد شرعي أو مصيبة أو نحوها، فإنه لا يعاقب في الغالب في الآخرة، حيـث روى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِـتِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ فَقَالَ «تُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا تَزْنُوا وَلا تَسْرِقُوا وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ أَصَابَ شَـيْئًا مِنْ

ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَسَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ» رواه البخاري ومسلم.

وهذا الحديث لا يفيد أن يتمنى المسلم أن يعاقب في الدنيا على ذنوبه، بل يسأل الله دائما العافية؛ لذلك لا يجوز الدعاء بتعجيل العقوبة على النفس في الدنيا؛ لحديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَادَ رَجُلاً مِنْ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ»؟ قَالَ: نَعَمْ كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ لا تُطِيقُهُ، أَوْ لا تَسْتَطِيعُهُ، أَفَلا قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»؟ قَالَ: فَدَعَا

اللَّهَ لَهُ فَشَفَاهُ» رواه مسلم.

لذلك فإن الله عَزَّوَجَلَّ كثيرا ما يعجل عقوبة بعض الصالحين في الدنيا ليتوبوا وليمحصهم ببلاء الدنيا عوضا عن عذاب الآخرة.

نظر أحد العُبّاد إلى صبي فتأمل محاسنه، فأُتي في المنام وقيل له لتجدن عاقبتها بعد حين، وبعد أربعين سنة نسي حفظ القرآن.

وقال بعض السلف: إني لأعصي الله فأرى ذلك في خلق دابتي وامرأتي «الداء والدواء صفحة ٧٤».

أي من أحبه الله تعالى فعصى الله؛ عسَّر الله عليه أمره، فلا يتوجه إلى أمر إلا وجده مغلقا دونه أو متعسرا؛ **لعله يتوب ويستغفر.**

لأن الله يحبه فيعاقبه في الدنيا بدلا من الآخرة.



إننا نرى كثيرا من الناس يغالط نفسه ويقول: ها أنا عملت ذنوبا، ولم أرى لها تأثيرا عليّ وعلى حياتي.

وما علم المسكين أن الذنب لا ينساه الله عَزَّوَجَلَّ وسيرى أثره ولو بعد حين في الدنيا أو في قبره أو في محشره أو أنه مستدرج، فعن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «اعْبُدُوا اللَّهَ كَأَنَّكُمْ تَرَوْنَهُ، وَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْمَوْتَى، وَاعْلَمُوا أَنَّ قَلِيلًا يُغْنِيكُمْ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُلْهِيكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْبِرَّ لَا يَبْلَى، وَأَنَّ الْإِثْمَ لَا يُنْسَى» أهـ «مصنف ابن أبي شيبة ٣٤٥٨٠».

ومن ناحية أخرى ليس كل من أذنب عاقبه الله عَزَّوَجَلَّ في الدنيا، إذ لو فعل ذلك سبحانه وتعالى لأهلك من في الأرض جميعا.

ألم تسمعوا قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ



ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ﴾ [فاطر:٤٥].

فينبغي أن نعلم سنن الله عَزَّوَجَلَّ في عباده، فقد يكون هذا العبد مستدرج، وماذا نعني بمستدرج؟

الاستدراج: سنة ربانية يجهلها أو يغفل عنها كثير من الناس.

فإذا رأيت نفسك ترفل في نعم الله وأنت مقيم في معصية الله فاعلم أنك مستدرج.

فقد روى عُقْبَةُ بْن عَامِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنْ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ،**

ثُمَّ تَلا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]

رواه الإمام أحمد.

إن بعض الناس قد يعمل معصية أو يقصّر في عمل فيقول طالما أنه لم تأتني مصيبة أو رؤيا في المنام؛ فهذا يدل على رضا الله عني أو تغاضيه عن جرمي.

ومنهم من يقول: لو كنت قد ارتكبت جرما عظيما يغضب الله عَزَّ وَجَلَّ لرأيت على سبيل المثال من ينهاني أو ينبهني إلى ذلك ولو في المنام أو لأصابني الله تعالى بالمصائب ونحو ذلك.

وقد يستدل هذا الجاهل بحديث ضعيف غير صحيح روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال:





«إذا أراد الله بعبد خيرا عاتبه في منامه» فهذا أولا حديث غير صحيح فلا يستدل به، كما ينبغي أن تعلم بأنك لست بنبي أو ولي حتى يعاملك الله بما أردت أو تمنيت.

إذ قد تكون مستدرجا -عياذا بالله- بذنبك.

أو أن عقوبة ذنبك لا زالت مدخرة لك إلى حينٍ، في الدنيا أو في البرزخ أو في الموقف.

لذلك إذا وقعت في معصية فبادر إلى التوبة منها وعمل الحسنات الكثيرات قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [هود: ١١٤]

فإن لم تفعل فإن ذلك الذنب سيلاحقك لا محالة.

إما في الدنيا أو في القبر أو في أرض المحشر، إلا أن يعفو الله عنك.

وتفكر في كثير من السلف الذين وقعوا في بعض المعاصي **كيف كفروا عنها بكثرة العتق والصيام والصدقة والاستغفار خوفا أن يلاحقهم ذلك الذنب في قبورهم أو آخرتهم.**

انظر إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في صلح الحديبية عندما عارض رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرأي، فقد غضب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عندما أحس بأن الصلح الذي عقده رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع قريش فيه إجحاف وعدم إنصاف للمسلمين وتنازل عن حقوقهم.

فجاء إلى أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قائلا له : أليس برسول الله ؟ قال : بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال : بلى قال: أوليسوا بالمشركين ؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟.

فقــال أبو بكــر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **«يا عمر الــزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله»** متفق عليه.

فكّفر عن مقولته تلــك بالشيء الكثير، حيث قال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: مــا زلت أصوم وأتصــدق وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت يومئذ أهـ «السيرة النبوية».

وتأمــل -يــا عبد الله- إلى فعل عائشــة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا عندمــا حلفت ألا تكلم ابن أختها عبــد الله بن الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فتوســط بعــض الصحابــة وأكثــروا عليها التذكير والتحريج.

فقالت **«إِنِّي نَذَرْتُ، وَالنَّذْرُ شَدِيدٌ»**.

فَلَمْ يَزَالاَ بِهَا حَتَّــى كَلَّمَتْ ابْنَ الزُّبَيْرِ، وَأَعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَــا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَــةً، وَكَانَتْ تَذْكُــرُ نَذْرَهَا بَعْدَ






ذَلِكَ، فَتَبْكِي حَتَّى تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا رواه البخاري.

فبادر إلى التوبة من الذنوب قبل الممات لئلا تذوق عاقبتها



في الدنيا.

وفي البرزخ.

وفي أرض المحشر.

جعلني الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتب للمؤلف :

1. كيف تطيل عمرك الإنتاجي ؟
2. كيف ترفع درجتك في الجنة ؟
3. كيف تحظى بدعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟
4. كيف تنجو من كرب الصراط ؟
5. أمنيات الموتى .
6. كيف تملك قصورا في الجنة ؟
7. أعمال ثوابها كقيام الليل .
8. كيف تثقل ميزانك ؟
9. كيف تفتح أبواب السماء ؟
10. كيف تجعل الخلق يدعون لك ؟
11. كيف تنجو من عذاب القبر؟
12. ذنوب قولية وفعلية تكفرها الصدقة.
13. أعمال أكثر منها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
14. كيف تسابق إلى الخيرات؟




تصميم الصفحات
الفتح
maktab.alfath@gmail.com
0114 99 56 76 6